

كتاب النخل

لاي بكر احمد بن علي بن المختار المشهور بابن وحشية النبطي
النخل انواع عديدة تكاد لا تحصى لكثرتها واختلاف ضرورها باختلاف
البلاد واهويتها. واسماؤها تختلف باختلاف اللوانها واشكالها. ومن النخل
ما ينبت من نفسه وهو البرقي ومنه ما يجاور الماء فهو العبري. ومن انواع
النخل العجوة، والشعير، والشيصاء. وهذه ادون التمر كلها

وقد قال الحاج رحمه الله تعالى قول اليونانيين ان من اراد
غرس النخلة عليه ان يحفر حفرة عمقها ذراعان ويكون عرضها بقدر
عمقها وبعد ان تتخذ الحفرة نملاً تراباً مليناً خراً مخلوطاً بسماد
ويكون في الحفرة مكان فارغ بقدر نصف ذراع. وتوضع النواة
في الوسط على عرضها الاعلى طولها لثلاثاً يتأخر بنيتها وتخرج عوجاً قبيحة
ثم تغطي بتراب حرطيت تتخلل وفيه سماد وملح من ملح البحر لا من ملح
النابت في الأرض ويكون من ذلك كله بقدر ما يملأ المكان الفارغ
الذي جعل لهذه الغاية. ثم يغطي الكل بعاليح بأبسة وتسمى كل
يوم الى ان تنبت. فاذا انبت تنقل الى مكان اخر ملم وقد يكون
هذ المكان الموطئ الذي يبقى فيه الى ان تموت، ومتعم من
يجعلها في ارض غير ملحة الا انه يضع في تلك الأرض ملحاً مجرباً
بقدر الحاجة اليه. وفي كل سنة يحفر حوايلها فتوسع الحفرة لكي
يسر لمعروق ان تمتد فيها بلا غناء. فيبكر اناؤها ويتركها

ويغتم

كتاب النخل

لأَبْنِ وَحْشِيَةِ النَّبْطِيِّ

تحقيق الدكتور

إبراهيم السامرائي

رئيس قسم اللغة العربية في كلية الآداب
جامعة بغداد

ترجمة المؤلف :

رسالة النخل

أغلب الظن ان هذه الرسالة جزء من كتابه المشهور « الفلاحة النبطية » وذلك لان ابن النديم وهو أقدم مصدر ترجم للمؤلف وذكر تصانيفه لم يذكر شيئاً عن هذه الرسالة ولكن الذي نعرفه ان موضوع النخل يؤلف آخر باب من أبواب الكتاب (٣) .

وقد ذكر ابن النديم كما اشرنا « كتاب الفلاحة الكبير والصغير » وأغلب الظن أنه المقصود بـ « الفلاحة النبطية » . ولعله اختصره في كتاب موجز وسماه بـ « الفلاحة الصغير » . وكتاب « الفلاحة النبطية » من أشهر الكتب في هذا الموضوع وذلك لما له من القيمة التاريخية حيث انه من أقدم ما صنف في هذا الباب ، ولأنه يشتمل على ما نقله ابن وحشية النبطي مما وجدته عند الآراميين الذين ورثوا علوم الأمم القديمة كالبابليين وغيرهم . ولعل هذا كان سبباً لتسمية المؤلف بـ « الكلداني » .

وقد ذهب جماعة من الباحثين الى ان « الكتاب » ليس من صنع ابن وحشية . بل هو من متخلقات ابي طالب الزيات الذي نسبته الى ابن وحشية . أي الى رجل قد مات وقت نشر التصنيف تخلصاً من ذم اخوانه المسلمين (٢) انظر الفلاحة النبطية لعادل ابو النصر ص ٢٢ .

هو ابو بكر احمد بن علي بن المختار الكلداني او النبطي . عرف بتصانيفه الكثيرة في الكيمياء والعلوم الخفية الاخرى فقد ذكر ابن النديم « انه ساحر يعمل أعمال الطلسمات ويعمل الصنعة ... وله من الكتب في السحر والطلسمات كتاب طرد الشياطين وكتاب السحر الكبير وغيره ... وكتاب الفلاحة الكبير والصغير ... » (١) .

وقد حاول في مؤلفاته ان يثبت ان اسلافه النبطيين كانوا على جانب عظيم من العلم ... ويقال ان كثيراً من تصانيفه خصوصاً كتابه المشهور « الفلاحة النبطية » منقول عن الكتب البابلية القديمة ، وقد دافع عن هذا الرأي (شولسن Chwolson) في التعليقات التي نشرها (المجمع الامبراطوري ج ٨) وخالفه كل من (جتشميد Gutschmid) ونولدكه Noldeké (وكذلك الحال في كتابه عن (الابجديات القديمة) الذي اذاعه لأول مرة المستشرق فون هامر » (٢) .

- (١) الفهرست ص ٤٤٧ (ط مصر) ولم يذكر ابن النديم شيئاً عن العصر الذي عاش فيه .
- (٢) انظر دائرة المعارف الاسلامية . وقد رجعت الى كتاب « الفلاحة النبطية » تأليف عادل ابو النصر (ط بيروت ١٩٥٨) .

وتبرئة لنفسه من تهمة النفاق والافتراء (٤) .

والذي يدفعنا الى القول ان رسالة « النخل » من مادة هذا الكتاب الكبير ان المؤلف ذكر في مقدمة كتاب « الفلاحة » المنوه عنه « ان الكتاب الاصلي ألفه قبله بألوف السنين حكيم بابلي اسمه « قوثامي » نقلاً عن كتب أقدم منه بكثير وضعها « ضغريت و تيو شاد » وان ابن وحشية ترجمه من لسان الكسدانيين (٥) أو النبطية « والمراد اللغة البابلية القديمة » الى العربية عام ٢٩١ هـ - ٩٠٣ م (٦) وأملأه عام ٣١٨ هـ على تلميذه ابي طالب احمد بن الحسين بن علي بن احمد الزيات .

وقال ابن خلدون في مقدمته « وترجم من كتب اليونانيين كتاب « الفلاحة النبطية » منسوبة لعلماء النبط مشتملة من ذلك على علم كبير » (٧) .

وفي رسالة النخل نقول عن هؤلاء اليونانيين مما يؤيد انها من مادة هذا الكتاب الكبير . وفي الكتاب مادة علمية وفيرة تتصل بالفلاحة والنبات . غير أنه لا يخلو من ذكر الخرافات والأباطيل . ولعل من الطبيعي وجود هذه الترهات في الكتب العلمية القديمة التي كتبها المتقدمون في تلك الحقبة الخوالي الذين لم ينالوا من البحث العلمي التجريبي ما هو معروف في

عصرنا هذا . وهذا يؤيد نسبة رسالة « النخل » التي نشرها اليوم الى ابن وحشية فهي مع خلوصها لهذه المادة العلمية لم تنج من هذا الأسلوب الذي يجمع بين العلم الصحيح والأباطيل التي لا تتفق هي والنظر الصحيح .

والرسالة التي نشرها اليوم بخط العلامة السيد محمود شكري الألوسي والمحافظة في خزانة معهد الدراسات الاسلامية برقم ٨٣ منقولة عن النسخة الخطية الوحيدة المحفوظة في خزانة المدينة والمكتوبة في الثاني عشر من شهر جمادى الآخرة سنة ثلثمائة واربع وعشرين للهجرة . وقد اتسخ الاب انستاس ماري الكرملني لنفسه نسخة عنها محفوظة في خزانة المعهد المذكور برقم ٨٧ وكلاهما مما اقتناه المعهد من مخطوطات السيد ميخائيل عواد . ونسخة السيد الألوسي بخط نسخ بالغ الجودة وتقع في خمس ورقات مقاسها ٢٠ سم x ١٣ر٥ وفي كل صفحة ١٨ سطراً .

وقد وجدت من الخير ان أضع هذه الرسالة مطبوعة بين يدي القراء لتكون مادة مفيدة يرجع اليها الباحثون في استقصاء التاريخ العلمي والتصنيف في العلوم في هذه الحقبة المتقدمة . ومن الله التوفيق .

(٤) انظر الكتاب نفسه ص ٦ .

(٥) لعل المراد الكلدانيين .

(٦) كتاب سفينة الراغب ص ٦٧١ .

(٧) مقدمة ابن خلدون ص ٤٣١ من طبعة بيروت .

كتاب النخل

وكلما وسعت الحفرة زدت فيها ملحاً بحرياً وإذا منعت عنها جاء تمرها قليل الحلاوة ، صغير الحجم قليل الاتاء متخلخل اللحم وكانت النخلة قصيرة العمر .

أما ديمقريطس فيذهب الى أن الحفرة اذا كانت عمق ذراع واحدة كفى ذلك ثم تملأ تراباً حراً وسماًداً ثم تؤخذ النواة وتغلق وتلقى في الحفرة بحيث يلامس التراب فلق النواة . فاذا فعل العامل ذلك ألقى عليها تراباً حراً وسماًداً بعد أن يكون خلطه بملح بحري فاذا تم له ذلك يتعهدا بالسقي كل يوم الى أن تنبت . فاذا نبت نقلها صاحبها الى مكان آخر لتبقى فيه .

أما الآخرون فييقونها في موطنها . وهؤلاء يفعلون هذا الفعل لانهم حفروا الحفرة بميدة عن صاحبها نحو باعين أو أكثر . فلا حاجة بعد هذا الى نقلها أو تحويلها . الا ان الطريقة الاولى احسن ، ولا سيما اذا حولها من موطنها وهي صغيرة ، ويجب على من لم يحولها ان يتعهد الحفر حواليها في كل سنة وبذر الملح في ما يحفره للغاية التي ذكرناها .

قال ابن الحجاج : رأيت في العراق أناساً يغرسون النخل ولا يضعون ملحاً في الحفرة التي حفروها لهذه الغاية ، ورأيت آخرين يزرعون النوى ولا يفلقونه . وعندي ان هذا العلم احسن لان العراقيين جميعهم لا يفلقونه البتة ومع ذلك

النخل أنواع عديدة تكاد لا تحصى لكثرتها وأختلاف ضروبها بأختلاف البلاد واهويتها . واسماؤها تختلف باختلاف ألوانها وأشكالها . ومن النخل ما ينبت من نفسه وهو البري ، ومنه ما يجاور الماء فهو العبري . ومن انواع التمر العجوة والشهريز والشيصاء . وهذه أدون التمر كلها .

وقد قال الحجاج - رحمه الله - ناقلاً قول ليونطينس : ان من أراد غرس النخلة عليه ان يحفر حفرة عمقها ذراعان ، ويكون عرضها بقدر عمقها ، وبعد أن تتخذ الحفرة تملأ تراباً طيباً حراً مخلوطاً بسماد ، ويكون في الحفرة مكان فارغ بقدر نصف ذراع . وتوضع النواة في الوسط على عرضها لا على طولها ، لئلا يتأخر نبتها وتخرج عوجاء قميمة ، ثم تغطى بتراب حر طيب متخلخل ، وفيه سمد وملح من ملح البحر لاسن ملح النبات في الارض ، ويكون من ذلك كله بقدر ما يملأ المكان الفارغ الذي جعل لهذه الغاية . ثم يغطي الكل بعساليج يابسة وتسقى كل يوم الى ان ينبت ، فاذا نبت تنقل الى مكان آخر ملح وقد يكون هذا المكان الموطن الذي تبقى فيه الى ان تموت . ومنهم من يجعلها في أرض غير ملحة الا انه يضع في تلك الارض ملحاً بحرياً بقدر الحاجة اليه . وفي كل سنة يحفر حواليها فتوسع الحفرة لكي يتيسر للعروق ان تمتد فيها بلا عناء فيبكر اناؤها ويضخم تمرها ويعزز ويحسن ويخشن ويزداد حلاوة ويكون علكاً ،

ترى نخلهم زكيا لذيد التمر . علما ان المعتنين
بزرع النوى أو غرس الفسيل يقولون : ان السبخة
أوفق لزكاء النخل ، والا فيعوض بوضع الملح في
تلك الارض .

قال ضغريث : يحسن بالغارس أن يتصف
بهذه الخلال وهي أن يكون بلغمي المزاج ومن
عشاق البدر ، تام الجسم لا عيب فيه ولا تشويه
ولا يجوز له أن يغرس الفسيلة في اليوم الثاني من
الهلال . ويجب ان يكون فرحا هاشا باشا ضحوكا
أو مبتسما وان لا يكره على الغرس بل يتوخاه
بطيبة خاطر وان لا يكون به بحر او حزن فقد
رأينا الذين هذه الوصايا جاءهم النخل خيشيا
معرضا لانواع العاهات لا تلقح أثناء الا نادرا واما
محاله فيكون قليل الا بر .

واذا زرع نوى كثير من نخلة واحدة جاءت
كل نواة بنخلة غير نخلة اختها وهذه من صفات هذا
الخلق من النبات لان الله باركه وخلق آدم من
طينته وقد يكون بين تلك النخيل الشبيص
والشهيرز^(١) ولا عجب فليس الخلق كله على غرار
واحد ، عاقلا كان أو غير عاقل ، حيا كان أو جامدا .
ومن غريب الامر انك اذا زرعت من نوى هذه
النخيل المختلفة عن أمها زراعا جديدا عاد هذا
الجديد الى أمه الاولى ، فسبحان ما خلق وفرق .
أما الفسيل فتمره يكون من جنس تمر النخلة
الام التي نزلت من جوارها وكذا يكون جمارها
وسقمها وسلاؤها بلا فرق يذكر . وقد يؤكل
الجمار حتى انك لتوهم انك تأكل خبزا غضا
خرج من التنور . والتلقيح يتيسر لك على هذا
الاسلوب : انك تأخذ طلع الفحال وتبيسه في
مكان حار لا تلعب فيه الريح حتى لا يتطاير ما فيه
من الدقيق فاذا فعلت ذلك اذخرت ذلك الفحال
للقابل ، على انك لا تبيته الا من بعد أن تكون
قد شقت القيقة^(٢) وفسخت الشماريخ تنفأ
تنفا .

وبعضهم يتخذ من الجمار خبزا شهيا فانهم

(١) بالشين وبالسين ضرب من التمر ، مغرب .
انظر اللسان .

(٢) والقيقة والقيقية وعاء الطلع .

يأخذون الجمار الغض ويبسونه في الشمس بعد
أن يفلق فلقا فلقا ، وبعد أن يشر ويبيس يطحن
في رحي حسنة فاذا صار دقيقا يخلط بدقيق
الحنطة أو الشعير ويعجن فاذا عجن يترك مدة
طويلة ولا يعجن الا بالماء الحار وكثير من الملح ثم
يخبز في التنور بعد أن يكون قد اختمر ومن
الناس من يعجنه مرتين أو ثلاثا ويجعل فيه ملحاً في
كل مرة وجمار كل نخلة يوافق لاتخاذ الدقيق من
جماره .

ويقول كثيرون : ان النخيل تنبت في الرمال
وفي السهول على السواء لكنها تحب السبخة أكثر
واحسن طريقة لتعديد انواعه ان يزرع النوى .
واحسن وسيلة لتبكير حمله ان يقلع فسيلا من
حوالي النخلة الام . وقد حاول بعضهم غرس
السعف او غرس نصف الفسيلة فلم يفلحوا اذ
يبس الكل بعد أيام قليلة . وزرع النوى يكون بعد
اختيار احسنه ومن اذكى النخل، وبعد النبت ينقل
من أرض الى أرض أحسن حتى يتأصل ويتوشح
ولا يتأثل الا في حفرة واسعة عمقها ذراعان في
سعة ذراعين وأن يوضع فيها السرقين من الغائط
وتراب حر .

وقال قسطنس : واذا خلطت بذلك كله البعر
والخث . كان اصلح للغرس ويرى ابن فاضل : انه
لو خلط في زييلين سمادا أربعة أرتال ملحا راع
الاتاء وزكا . ولا تبذر النواة الا من بعد أن تهيأ
الارض على الوجه الذي ذكرناه فتلقى في وسط
الحفرة على عرضها لا قائمة على طرفها . ويحسن
أن يكون القطمير وهو سرقة النواة متجهة الى
الاعلى ويكون النقيير الى الاسفل ثم تغطى بذلك
الخليط ما يكون ثخنه بقدر اصبعين ويكون هذا
البذر في آذار او نيسان . أما ابن فاضل فيرى ان
يكون البذر على هذا الوجه في شهر كانون الثاني .
وبعد ذلك تسقى النواة مرتين في الاسبوع . واعلم
انك اذا وضعت النواة ونقيرها متجة الى الاعلى
لم تنبت .

ويزعم مقاريوس : انك اذا اردت بذر نواة

عمدت اولاً الى فلقتها ثم تضع الفلق الواحد بحيث يكون الجانب المفلوق ملصقاً بالارض وان يوجه طرفها الدقيق نحو مطلع الشمس . ويرى آخرون أن أحسن وسيلة لانبات النواة أن تؤخذ وهي غير صلبة ويكشط عنها فتيلها من جهة سرتها ويبقى فتيلها من جانب نقيرها ثم تلقى في الارض على الوجه الذي مر بك وصفه .

ويقول آخرون : ان هناك طريقة تفضل على جميع الطرائق وهي أن يؤخذ النبى الصلب الناضج وينقع في الماء مدة خمسة أيام أو أكثر ثم يلقى في الارض المسمدة على ما ذكر فويق هذا بشرط ان يكون ظهر النواة متجها الى أعلى وبطنها الى أسفل ، فاذا تم ذلك من كل الوجوه عا طلت النخلة وضخمت وامتدت عروقها في الارض وزكا تمرها واشتد سعفها .

وقال آخرون : اذا أردت أن تحصل على نخل فحل جعلت القطير وهو سرة التمرة متجها الى أسفل .

وقال الحجاج الغرناطي : ان الفسيلة تجعل بعد قلمها في حفرة عمقها لا أقل من شبرين ثم يلقى عليها سرجين مخلوط بتراب حر وملح بحري ثم تسقى مرة في كل أربعة أيام الى أن يمر عليها شهر . وفي كل اسبوعين من الشهر المذكور تروى ماء قد جعل فيه ملح ويلقى عند أسفل الفسيلة ، واذا تم الشهر تسقى مرة كل أسبوع الى نهاية فصل الربيع ، فاذا فعلت ذلك أبكرت النخلة واتتك بتمر حسن .

قال الحجاج الغرناطي : وقد رأيت كل ذلك بعيني في فسيلة عولجت هذه المعالجة . ولا فرق بين أن تكون الفسيلة من النخلة الفلانية او النخلة الفلانية .

وذهب كثيرون الى أن النخلة تكتفي بالملح مرة في السنة ولا يزداد على هذا القدر . واذا سمدت بثل الخمر كان هذا السداد لها أحسن من سواه .

ومن الناس من يقول : ان النخلة تحب المواد الحامضة وان تسقى ماء ملحاً مرة أو مرتين في

الحول الى أن تأتي بالتمر فيعدل عن هذا النوع من السقي . أما اذا كانت الارض ملحة فلا حاجة الى اروائها الماء المذكور . وقد قيل : ان الفسيلة التي تسقى ماء فيه ملح ذرة اني يكر اتاؤها ويحسن تمرها ويحلو ويزكو وينضج نيل غيره . ولا تكرب النخلة الا في اعتدال الربيع ولا يقطع منها الا السعف اليابس . واياك ان تقطع السعف الأخضر . وكذلك يمتنع عن نزع السلاء أو خرطه من السعف الأخضر فإن ذلك يضر النخلة أشد الضرر . وأغلب المعتنين بفرس النخل يقولون : أحسن وقت السعف او التكريب هو شهر آذار ولا سيما منتصفه . وان لا تقدم هذه المدة ولا تؤخر .

وقال ابو الخير : اني أدلك على وسيلة تجعل تمرك حلواً لذيذاً ليس فيه شيء من البشاعة او الحموضة على ما يرى في تمر نخيل الاندلس وبعض ديار المغرب . يؤخذ البلح قبل أن يصير تمراً ويغلى في ماء عذب محلى الى ان تزول منه البشاعة ثم يلقى الماء ويؤخذ التمر وينشف بعد ان تزول منه الرطوبة فاذا فعلت ذلك حلت التمرة .

واذا اردت التلقيح عمدت الى شمراخ من الفحال في وقت ازدهاره وأثبتته في قلب طلعة الاثني فاذا تم الوقت نضج التمر على أحسن ما يرام وزكا وطاب .

قال المؤلف : وقد ألقمت نخلاً في جبل أشرف بفحال بري في حين الاقحاح وذررت من دقيقه على الاثني فكان التمر من أحسن ما يكون . هذا ما فعلته في سنة واحدة . واذا أريد ان ينضج التمر في كل سنة فيجب ان يعاد التلقيح في كل عام والا شاحت النخلة في الحصول الذي لا تلقح . فالنخلة تلقح في كل سنة كما يلحق التين في كل عام .

ويروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انه أحضر يوماً بتمرة فقال له ابو عبدالله : ما الدواء الذي تعالج به النفس حتى ان الله عز وجل أطعم مريم - عليها السلام - رطباً جنياً . فقال النبي - عليه الصلاة والسلام - : من أكل سبع عجوات قبل النوم قتل الدود الذي في بطنه لان

المعجوة من الجنة • وأول من غني بغرس النخلة كان شيث بن آدم - عليه السلام - • والنخلة شجرة مباركة لا تنبت الا في بلاد المسلمين • قال - صلى الله عليه وسلم - : « أكرموا عمتكم النخلة، وانما سماها عمتنا لانها خلقت من فضلة طينة آدم - عليه السلام - وانها تشبه الانسان من حيث استقامة قدها وطولها وامتياز فعالها عن اناها واختصاصها باللقاح الظاهر للعيان ولو قطع رأسها هلكت ، ولظلمها رائحة المني ولها غلاف كالمشيمة التي يكون فيها الولد • والجمار الذي في رأسها لو أصابه آفة هلكت النخلة لا محالة فهو بمنزلة المخ من الانسان اذا أصابته آفة • ولو قطع منها سعة لا يرجع بدلها فهي كعضو الانسان وعليها ليف يشبه الشعر الذي في الانسان •

واذا لم يثمر شيء من النخلة يأخذ الرجل فأسا ويقرب منها ويقول لصاحبه الذي يكون معه: اني اريد قطع هذه الشجرة لانها لا تثمر • فيقول صاحبه : دعها وشأنها هذه السنة ولا تمسها بأذى فانها تثمر من قابل • فيقول الرجل : انها لا تنفعنا في شيء ويضربها ضربات بفأسه يقطع بها سعفات كثيرة حتى يصل الى ما يقرب من قلبها ، فيمسكه حينئذ صاحبه بيده ويقول له : لا تفعل فانها شجرة طيبة نافعة مثمرة لا محالة واصبر عليها هذه السنة فان لم تثمر فاصنع بها ما شئت قلنا : فاذا فعل ذلك فان النخلة تثمر ثمرا كثيرا • وكذلك غير النخل من الاشجار فانها ان قلت كثيرا حتى وصلت في عملك الى نحو قلبها أثمرت في غالب الاحيان •

واذا قاربت بين ذكران النخل واناها كثر حملها لانها تستأنس بالمجاورة واذا قطع ألفها من

الذكران فلا تحمل شيئا حزا على فراق الفها • واذا غرست الذكران وسط الاناث فهبت الريح شمت الاناث رائحة الفحال وربما نالها شيء من لقاحها فحملت من تلك الرائحة كل انثى حولها • ومنه قوله تعالى : « وارسلنا الرياح لواقح » •

وان اتخذت لنخلتك منطقة من الاسرب^(٣) كثر ثمرها ولم يسقط منه شيء • وكذلك لو اتخذت لها اوتادا من خشب البلوط ودققتها فسي الارض نطاقا حولها • وان أحرق خشبها لا يكون منه فحم ، واذا وضع السقف على جذعه ينكسر فان فلقته نصفين وجعلت ظهر أحدهما الى الآخر يبقى زمنا طويلا •

روى ابو هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : المعجوة من الجنة وهي شفاء من السم والبثور • وأما الرطب فإنه أنفع شيء للنفساء وهو أحسن دوائها ، وكانت الاكاسرة في أوان الرطب يرفعون من سباطهم الحلوى ، وفي ابان يستغنون عن المشوم ، وفي ايام البطيخ يتناسون الاشنان • والرطب يلين الطبيعة ويزيد في المني ومع الخيار والخس أنفع وأفيد • نقله الفقير اليه تعالى محمود شكري الآلوسي عن النسخة - الخطية المحفوظة في خزانة المدينة والمكتوبة في ١٢ جمادي الآخرة سنة ٣٢٤ من هجرة خاتم الانبياء - صلوات الله عليه وعلى آله والاف سلام - •

(٣) جاء في اللسان : ان « الاسرب » الرصاص أعجمي •